الفصل الثامن عشر

العرب والرومان

انتهز حكام (رومة) فرصة ضعف خلفاء الإسكندر ، وانحلال المملكة العظيمة التي كونها ذلك الفاتح ، فاستولوا على مقاطعة (مقدونية) Macedonia وعلى جزر اليونان وآسية الصغرى وبلاد الشأم وإفريقية وفي ضمنها مصر ، فأصبحوا بذلك كما كان شأن البطالمة على اتصال بالعرب مباشر[1] . وبهذا الاتصال بدأت علاقات العرب بالرومان .

وقد كان العرب يقيمون في لبنان وفي سورية قبل الميلاد بزمن طويل . وقد اشتغل قسم منهم بالزراعة وتحولوا إلى مزارعين مستوطنين ، وتولى قسم منهم حماية الطرق وحراسة القوافل ولا سيما القوافل التي تجتاز طريق الشأم — تدمر — العراق . وقد أشير الى العرب (السكونيين) ، أي سكان الخيام Arabes Skynitai الذين كانوا ينزلون البوادي وهم من الأعراب الشماليين[2].

استطاع (بومبيوس) Pompeius القائد والقيصر أن يضم بلاد الشأم إلى الأملاك التي استولت عليها رومة ، ويجعلها مقاطعة من المقاطعات الرومانية ، فكان من نتيجة ذلك اتصال الرومان بالعرب ، وبالأعراب الذين كانوا قوة لا يستهان بها على أطراف الشأم . وقد وجد الرومانيون بعد استيلائهم على الشأم ما شجعهم

---

١ The Historians History of The World, Vol., VI, London, 1908, P., 3.

٢ Pliny, Nat. Hist., VI, 142, Strabo, XVI, 749, 755;Plutarchos; Lucullus; 21; Arabia ; S. ; 23.

على الزحف إلى فلسطين ، انتهازاً لفرصة النزاع الداخلي الذي كان بين (هركانوس الثاني Hyrkanus II وأخيه (أرسطوبولس الثاني) Aristobulus II . وكان (هيركانوس) قد ذهب إلى (الحارث) Aretas ملك العرب ، أي النبط ، فاراً من أخيه ، ليحميه وليساعده مقابل تنازله عن بعض الأرضين وعن المدن الاثنتي عشرة التي كان (الاسكندر ينايس) Alexander Jennaeus (١٠٤ — ٧٨ ق. م.) قد استولى عليها [١] . كما ذكرت من قبل ، فرأى الرومان في هذه الفوضى فرصة مواتية للتوسع نحو الجنوب .

وقبل أن يجتاز (سكورس) Scaurus بجيوشه حدود أرض (يهوذا) ، وصلت اليه رسل (أرسطوبولس) Aristobulus تطلب منه مساعدة صاحبهم وتمكينه من أخيه ، كما وصلت اليه رسل (هيركانوس) Hyrkanus لترجو منه معاونته لصاحبهم ، ومساعدته على شقيقه . فتعهد كل طرف من الطرفين بتقديم ما قدمه الآخر . ووافق (سكورس) على تأييد (أرسطوبولس) فكتب إلى (الحارث) ملك العرب ، يخيره بين البقاء في القدس والدفاع عنها وعداوة الرومان وبين تركها وترك الدفاع عنها وصداقة القائد . فرأى (الحارث) Aretas الارتحال عنها ، وفي أثناء ارتداده حصلت مناوشات بين أتباع الأخوين قرب الأردن ، كان النجاح فيها حليف (أرسطوبولس) [٢] .

وفي سنة (٦٤ ق. م.) شخص (بومبيوس) نفسه إلى سورية للاشراف على إخضاع جميع أجزائها ، وقد طلب منه الأخوان أن يتدخل في حل هذا النزاع ، وأن يكون حكماً بينهما ، وقدما له هدايا ثمينة حملته على التفكير في احتلال فلسطين . وقد حضرا إلى مقره ، وأظهرا له من الضعف والضعة ما دعاه إلى الإسراع في إرسال حملة إلى أرض Aretas ملك العرب ، الذي قاوم مقاومة عنيفة ، وبعد هذه الحملة احتل القدس وأرض يهوذا وسائر فلسطين ، وأمر بالحاقها بالمقاطعة الرومانية السورية ، ونصب عليها (سكورس) حاكماً،وانتزع من يهوذا مدناً وقرى ألحقها بهذه المقاطعة . أما مملكة (يهوذا) الصغيرة ، فقد أصبحت ، من عملها هذا،في حماية الامبراطورية الرومانية . وأخذ (أرسطوبولس)

---

١ « ١٠٣ — ٧٦ ق.م » Dubnow, 11, S., 154.

٢ Bubnow, 11, S., 176., f.

وأكثر جنوده أسرى ، نقلوا إلى (رومة) ، وسير بهم في موكب الأسرى الذين جيء بهم من الشرق ، للاحتفال بالانتصار العظيم الذي انتصره (بومبيوس) ، وذلك في عام (٦١ ق. م.)[١] .

وعقد (سكورس) الحاكم الروماني اتفاقية مع (الحارث) ، حسماً للنزاع وحداً لتحرشات العرب بحدود الامبراطورية ، وافق بموجبها (ملك العرب) ، أي العرب النبط ، على المحافظة على الأمن ، وعلى التعاون مع الرومان في هذا الشأن . وقد عثر على نقد ضرب في أيامه ، وجدت عليه صورة رمزية تشير إلى هذا الاتفاق[٢] .

وقد ساعد العرب (كاسيوس) Cassius في حوالي السنة (٥٣ ق. م.) ، وساعدوا (كراسوس) Crassus ، وذلك في حروبهما مع (الفرث) (البارثيين) Parther[٣] .

وقد عيّن (يوليوس قيصر) Julius Caesar في حوالي سنة (٤٧ ق. م.) (انتيباتر) Antipater بمنصب Procurator على (اليهودية) ، وهو من أصل (أدومي) ، والأدوميون عرب في رأي كثير من العلماء . وهو والد الملك (هيرود الكبير) Herod ملك اليهود ، ومؤسس أسرة معروفة في تأريخ اليهود[٤] ، كما عيّن رجلاً اسمه Cypros ، وهو عربي من أسرة كبيرة[٥] .

وقد استندت سياسة الرومان ثم سياسة الروم من بعدهم إلى قاعدة الاستفادة من العرب في حماية المواضع التي يصعب على الرومان أو الروم حمايتها والدفاع عنها ، وذلك مثل تخوم الصحارى ، وفي صد هجمات الأعراب المعادين أو الذين يدينون بالولاء للفرس ، وفي مهاجمتهم أيضاً ومهاجمة حلفاء أولئك الأعراب المعادين لهم وهم الفرس .

وفي أيام (بومبيوس) (بومبي) كان أحد سادات القبائل العربية متحكماً في البادية المتاخمة لبلاد الشأم . وقد ذكر (سترابون) أن اسمه هو Alchaidamos

---

١ Dubnow, 11, S., 182.
٢ Murry, P., 101.
٣ Arabian, S., 23.
٤ Die Araber, 1, S. 301, W. Smith, A Dictionnary of The Bible., Vol. 1; 488; 791.
٥ A Dictionnary, I, P. 791.

وجعله ملكاً على قبيلة دعاها باسم Rhambaei[1] . وقد كان من حلفاء الرومان ثم انقض عليهم وعبر إلى العراق ، وذلك لاهانة لحقته من الحاكم الروماني أو من القواد الرومان . ويظهر أنه اجتاز الفرات في سنة (٤٦ ق. م.) والتجأ إلى (البارثيين) . وقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان في السنة (٥٣) قبل الميلاد فيما بين النهرين ، وأنه كان يقوم بغارات على حدود بلاد الشأم . ويظهر أنه ترك البارثيين بعد ذلك وعاد الى خلفائه الرومان . وقد نعته (ديوكاسيوس) Dio Cassius بالتذبذب وبالانتهازية ، وقال عنه إنه كان يتنقل دائماً إلى الجانب القوي[2] .

وكان (الخديموس) ، قد استولى على مدينة (أريتوسه) Arethusa ، وهي مدينة (الرستن) ، وجعلها مقراً لحكمه ، وتقع على نهر (الميماس) ، وهو نهر (العاصي) ، ويسمى بـ Orontes عند الكتبة اليونان والرومان[3] . ولا ندري اليوم متى دخلت في حكمه ، ويظهر أن حكمه دام طويلاً إذ كان لا يزال في الحكم في الفترة الواقعة فيما بين السنة (٤٦) والسنة (٤٣) قبل الميلاد[4].

وذكر أنه كان لهذا الملك ولد اسمه (ايامبليخوس) Iamblichos = Jamblichus وكان عاملاً على شعب Emesener . وقصد (سترابو) بشعب (ايميسنر) ، الناس الساكنين في أطراف المدينة . أي أطراف مدينة Emessa : Emesa ؛ وهي حمص[5] .

وقد ساعد (ايامبيليخوس) (المتوفى سنة ٣١ ق. م.) ، حكام (رومة) ضد (البارثيين) (البرث) (الفرث) Parther فقدم لهم مساعدات مهمة، ولا سيما بالنسبة الى (أوكتافيوس أغسطس) Octavianus Augustus[6] .

وقد ساعد الملك (اكبروس) (أكبر) Acbarus الذي حكم (حمص) بعد

---

١ Strabo, 16, 753, Die Araber, 1, S., 179.

٢ Dio Casslus, 40, 20, 1, f., Die Araber, 1, S.; 180.

٣ Ency., 11, P., 309.

٤ Die Araber, 1, S., 356.

٥ Die Araber, 1, S., 144.

٦ Arabian, S., 23.

هذا الملك بأمد ، الرومان أيضاً في كفاحهم للبارثيين ، وذلك سنة (٤٩) بعد الميلاد[١] . ولم يكن لهؤلاء الملوك من خيار في سياستهم سوى الانحياز الى الرومان لأنهم كانوا أقوياء ، وقد هيمنوا على بلاد الشأم .

ولا نعرف في الوقت الحاضر شيئاً عن الملك (الخديموس) ، ولا عن قبيلته Rhambaei . أما عن اسم الملك فيظهر انه محرف عن أصل عربي هو (الخدم) أو (جديمة) أو (خضم) أو (الخضم)[٢] ، وهي من الأسماء المعروفة التي ترد في كتب أهل الأخبار[٣] . أو (الخطيم) ، وهو اسم معروف أيضاً ، ورد في أسماء العرب[٤] ، أو اسماً عربياً آخر ابتدأ بـ (الـ) أداة التعريف .

وأمـــا عن اسم Rhambaei ، فيظهر انه محرف عن تسمية عربيـــة هي : (رحبة) ، أو (رحاب) أو ما شاكل ذلك[٥] ، وترد لفظة (رحبة) كثيراً في العربية اسم موضع من المواضع ، فلعل هذه القبيلة كانت تقيم في موضع اسمه (رحبة) فعرفت به .

ويظهر من هذا الخبر ان القبيلة المذكورة كانت في جملة القبائل العربية التي كانت قد زحفت قبل الميلاد إلى بلاد الشأم ، واستوطنت في أطراف (حمص) ، وتقدمت بعضها فنزلت في أماكن أبعد من هذا المكان إلى الشمال ، حيث المراعي والكلأ والماء ، وكانت كلما وجدت ضعفاً في الحكومات الحاكمة لبلاد الشأم ، انتهزت فرصته فتقدمت إلى مواضع أخرى في الشمال ، حيث يكون الخصب والماء .

وأنقذ العربُ (يوليوس قيصر) Julius Caesar من المأزق الحـــرج الذي وقع فيه ، وهو يهم بالقبض على ناصية الحال في الاسكندرية عام (٤٧ ق. م.) ، إذ أرسل الملك (مالك) Malchu ، وهو (مالك الأول بن عبادة) ، نجدة مهمة ، ساعدته على انقاذه من الوضع الحـــرج الذي كان فيه[٦] ، كما أنجدوا

---

١ Arabian, S., 23.

٢ Sarre und Herzfeld, Arch. Reise, 1, S. 119, 11, 105, Die Araber; 1; S. 150; M. Lidzbarski, Epyememris, 3, 164.

٣ الاشتقـاق (٢٢٧) .

٤ الاشتقـاق (١٦٧) .

٥ Sarre und Herzfeld, Arch. Reise, 1, S. 119, 11, 105.

٦ Muryy, P., 102.

(هيركانوس) الذي فر من القدس إلى (بطرا) حينما ظهرت أمام العاصمة طلائع الفرثيين[1] .

ولما استولى (أغسطس) على مصر ، وجعلها تابعة لحكم قياصرة (رومة) ، أمر باصلاح ما كان قد فسد بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية السيئة التي حدثت في أيام البطالسة ، فأصلحت الطرق ، وطهرت القناة ، وعني بالتجارة البحرية وبمياه البحر الأحمر التي غصت بلصوص البحر ، وأوعز إلى حاكم مصر (أوليوس غالوس) Aelius Gallus بغزو جزيرة العرب ، للاستيلاء عليها وعلى ثروتها العظيمة التي اشتهرت بها من الاتجار بالمر واللبان والبخور والأفاويه ، وللقضاء أيضاً على لصوص البحر الذين كانوا يحتمون بسواحل الحجاز واليمن ، وللهيمنة على البحر . وقد أمر بوضع حراس على ظهر السفن التي تجتاز البحر الأحمر ، لحمايتها من أولئك اللصوص[2] .

لم تكن الأوضاع في القرن الأول حسنة في (مصر) ، فقد كان حكم البطالمة حكماً ضعيفاً هزيلاً ، ألهاهم عن التجارة البحرية وعن الاهتمام بالبحار ، فقل عدد السفن الذاهبة الى المحيط الهندي ، وتزايد عدد لصوص البحر ، كما أن الصراع الذي كان في (رومة) على الحكم أثر في مستوى مشترياتها من مصر . وقد أثر ذلك بالطبع في الوضع الاقتصادي في مصر ، وفي مستوى الأسعار ، ولا سيما في (الإسكندرية) (بورصة) العالم في ذلك العهد . لذلك أحدث فتح (يوليوس قيصر) لمصر تغييراً في الأوضاع هناك نراه بارزاً في هذا (المشروع) الضخم الذي أراد (أوغسطس) (٣١ ق. م. — ١٤ ب . م .) القيام به ، وهو الاستيلاء على جزيرة العرب وضمان مصالح (رومة) في ذلك الجزء من العالم ، وجعل البحر الأحمر بحراً رومانياً .

ولو تم ذلك (المشروع) على نحو ما حلم به (أغسطس) ، كان حكم (رومة) الفعلي قد بلغ العربية الجنوبية ، وربما سواحل إفريقية أيضاً ، إلا أن سوء تقدير الرومان له ، واستهانتهم بطبيعة جزيرة العرب ، وعدم ادخالهم في حسابهم قساوة الطبيعة هناك ، وعدم تمكن الجيوش النظامية من المحاربة فيها وتحمل العطش والحرارة الشديدة ، كل هذه الأمور أدت إلى خيبته منذ اللحظة

---

١ Dubnow, 11, S., 250.

٢ O'Leary, P. 74, Pliny, 11, P. 415, 6, 101.

التي شرع فيها في تنفيذه، فكانت انتكاسة شديدة في هيبة (رومة) وفي مشاريعها التي رسمتها وارادت تنفيذها في جزيرة العرب .

وقد وصل الينا وصف تلك الحملة لكاتب جغرافي شهير، اسهم فيها في رأي بعض الباحثين ، فحصل على معارفه عن العرب وعن بلادهم من مشاهداته ايضاً فضلاً عما سمعه ، وأعني بـــه (سترابون) الذي قال في مطلع وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب ، بقيـــادة (أوليوس غالوس) ، أشياء كثيرة عن خصائص تلك البلاد . لقد ارسله (أغسطس قيصر) للبحث عـــن الشعوب والأماكن التي فيها ، وعن حدود بلاد الحبش، وأرض Troglodytes المقابلة لبلاد العرب ، والأقسام المجاورة من الخليج العربي التي يفصلها عن العرب مضيق ضيق ، لعقد معاهدات معها أو احتلالها . لقد سمع انها غنية جداً ، لأنها تقايض التوابل بالذهب والفضة والأحجار الكريمة ؟ وانها لا تحتاج إلى استيراد الأشياء من الخارج . فأراد إما أن يكوّن منهم اصدقاء اغنياء ، واما ان يحتل بلد اعداء اغنياء[1] . فهذه هي الأغراض التي توخاها قيصر (رومة) من توجيه حملته الى جزيرة العرب في القرن الأول للميلاد ، و (رومة) جائعة نهمة تريد المزيد من تجارة البحار الجنوبية بالمجّان أو بأرخص الأسعار .

وقد وضع القيصر آماله في تحقيق هذا المشروع على النبط الذين كانت تربطهم بالرومان معاهدة تحالف منذ احتل الرومان بلاد الشأم ، ومن جملتها فلسطين ، فأصبحوا بذلك على اتصال بالنبط ، وكان ملكهم إذ ذاك (عبادة الثانـــي) Obadas II (٢٨ — ٩ ق. م.) وقد وعد الرومانيين خيراً ، وعدهم بتقديم كل المساعدات لهم ، وبارسال المرشدين اليهم لارشادهم إلى أهدافهم ، وبتقديم الرجال لشدّ أزر الرومانيين ، وبوضع وزيره المدعو Syllaeus تحت تصرفهم ليكون لهم دليلاً ومستشاراً[2].

وبعد إعداد الحملة وتهيئة السفن التي كان ينبغي أن تنقل رجالها وعدتهم عشرة آلاف جندي ، جمعوا من مصر من المصريين والرومانيين ومن لفيف غيرهم ، أركبوها من ميناء على الساحل المصري للبحر الأحمر، لتتجه بهم إلى ميناء (لويكة

---

١ Strabo, XVI, 22, Vol., III, P. 209, Pliny; 6; 160; Dio Casslusl 53; 3-8; Die Araber; 11; S. 49.

٢ لعله تحريف « صالح » .

كومة) حيث ينضم اليهم نبط وغيرهم ، ثم يتجهون براً إلى اليمن . إلا أن الحملة لم تكن منظمة منسقة مدروسة دراسة دقيقة إذ تحطم عدد كبير من سفنها في أثناء محاولة قطعها البحر من الجانب المصري إلى الساحل العربي المقابل له ، لعدم ملاءمتها لمثل هذه المهمة التي أوكلت اليها ، وبعد مشقات وأهوال وصلت السفن السالمة بعد خمسة عشر يوماً إلى (لويكة كومة) ، تحمل على ظهرها جنوداً منهوكين من قطع البحر على سفن لم تكن ملائمة لمثل هذا النقل . وقد عزا (سترابون) هذه الخسارة التي لحقت برجال الحملة إلى (صالح) Syllaeus الذي غش — على زعمه — القائد ، فأعلمه بتعذر الوصول من البر ، لعدم وجود عدد كاف من الجمال ، ولعدم وجود طرق برية صالحة لمرور هذا الجيش[1] .. والذي أراد بذلك اضعاف الرومان وإذلالهم ، وإضعاف القبائل ليكون سيد الموقف فيدبر الأمور بنفسه ، ويكون السيد المتصرف وحده في الأمور[2] .

ولما وصل (أوليوس غالوس) بجيشه إلى ميناء (لويكة كومة) ، كان المرض قد فتك به ، لأسباب عديدة منها فساد الماء والطعام ، وسوء الغذاء فاضطر إلى قضاء الصيف والشتاء فيه ، حتى استراح الجيش وتعافى من المرض الذي ابتلي به .

ويظهر أن الرومان كانوا قد هيمنوا على هذا الميناء أمداً ، او احتلوه اذ ورد في الأخبار أنهم وضعوا فيه حامية رومانية Centurio ، لحماية السفن من لصوص البحر ، ولحماية الطرق البرية من قطاع الطرق واللصوص في البر ، كما أنهم أنشأوا لهم فيه دائرة لجباية المكس من السفن والتجار ، وقد تقاضوا ما مقداره (٢٥٪) من أثمان البضائع التي تدخل الميناء[3] .

وميناء (لويكة كومة) ، ميناء النبط الأعظم ، منه تنقل البضائع الواردة بطريق البحر إلى (بطرا) (بترا) Petra ، ومنها الى موضع (رينوكولورا) Rhinocolura في (فينيقية) على مقربة من مصر ، ثم إلى الشعوب الأخرى .

---

١ Strabo, XVI, IV, 23, J. Pirenne, Le Royaume, Sud-Arabe de Qataban et sa Datation, (1961), 93-124.

٢ Strabo, XVI, IV, 24.

٣ Sprenger, Alte Georgr., S., 28.

ومنه أيضاً إلى سواحل مصر على البحر الأحمر حيث تنقلها القوافل إلى نهر النيل ثم إلى الاسكندرية[1] . فهو ميناء مهم لتصدير التجارات ، واستيرادها في أرض النبط .

وميناء Leuke Kome (لويكة كومة) هو (الحوراء) أو (ينبع) على ساحل الحجاز ، وقد كان من الموانىء المهمة في تلك الأيام[2] . وسوف أتحدث عنه في موضع آخر من هذا الكتاب .

وقد ظنّ (أوليوس غالوس) ، أنه سيلاقي من العرب مقاومة شديدة في البحر ، لذلك قرر بناء أسطول قوي يتألف من ثمانين سفينة كبيرة محاربة ، ومن عدد من السفن الخفيفة ، وشرع بإعداده في ميناء (قفط) (قفطس) بـ Kleopatris على قناة النيل القديمة . ولما تبين له من الاستخبارات ، أن العرب لم يكونوا يملكون أسطولاً ، وأنهم لا يستطيعون مقاومة الرومان ، أسرع فنقل جيشه على ظهر (١٣٠) سفينة نقل الى ميناء (لويكة كومة) . وكان في هذا الجيش الذي بلغ عدده عشرة آلاف محارب ، ألف من النبط و (٥٠٠) من اليهود[3] .

وفي ميناء (لويكة كومة) تجمع جيش الحملة ، ومنه تقدم (أوليوس غالوس) نحو اليمن ، فدخل أولاً أرضاً لم يذكر (سترابون) اسمها ، وإنما ذكر انها كانت أرض ملك يدعى Aretas أي (الحارث) ، وكان من ذوي قرابة (عبادة) Obadas ملك النبط . وقد استقبل الرومان استقبالاً حسناً ، ورحب بهم ومنها سار في أرض وعرة قليلة الزرع والأشجار مدة ثلاثين يوماً إلى أرض مأهولة بالأعراب تدعى (أرارين) (عرارين) Ararene ، عليها ملك اسمه Sabos . قطعها (غالوس) في خمسين يوماً حتى بلغ مدينة تدعى (نجراني) Negrani ، ومنطقة خصبة مزروعة آمنة ، هرب ملكها ، وأخذ الرومان مدينته. وبعد مسيرة ستة أيام عنها بلغ نهراً جرت عنده معركة خسر فيها المهاجمون عشرة آلاف رجل . أما الرومان ، فلم يخسروا غير رجلين ، ومرد ذلك ، في زعم (سترابون) إلى تفوق الرومان في أساليب القتال وفي عدد الحرب التي لديهم ،

---

١ Strabo, XVI, 24.

٢ Arabien, S., 4, 29, 44.

٣ Araber, II, S., 49. f.

في حين تعوز أصحاب الأرض المالكين الخبرة في القتـــال ، والتمرين في استعمال ما عندهم من أسلحة تتألف من السهام والرماح والسيوف وآلات القذف والفؤوس ذوات الرأسين .

وأعقب هذه المعركة سقوط مدينـــة (أسقه) Asca ، التي سلمها الملك ، ومدينة (اترله) Athrula التي سلمت من غير مقاومة ، فوضع فيها حامية ، واشتغل بجمع الحبوب والثمر . ثم توجه إلى مدينـــة Marsybae = Marsiaba ، مدينة الـ Rhammanitae الخاضعين للملك Ilassarus ، وقد حاصرها ستة أيام ثم دخلها ، غير انه تركها لقلة المياه فيها [1] . وعلم من الأسرى انهـــا تبعد مسيرة يومين فقط عن أرض التوابل . وكان هذا الموضع آخـــر ما بلغه الرومان في الجنوب [2] . وقد قطع الجيش الطريق بين (لويكة كومة) ومدينـــة Marsiaba في أشهر . أما في عودته ، فقد قطعها في مدة أقل من هذه المدة بكثير ، فبلغ مدينة Negrana في تسعة أيام ، وهناك نشبت معركة بين الرومان والعرب ، وغادرها (أوليوس غالوس) ، فبلغ بعـــد مسيرة أحد عشر يوماً موضعاً يعرف بـ (الآبار السبع) ، لوجود آبار فيه . ثم قطع بادية فوصل إلى موضع Chaalla ، وموضع آخر يدعى Malothas يقع على نهر وقطع بادية أخرى ، قليلة المياه ، وانتهى إلى قرية Egra [3] من قرى أرض (عبادة) Obadas ، وتقع على ساحل البحر . وقد قطع هذه المسافة كلها في ستين يوماً. ومن مدينة Negra = Egra عاد (أوليوس غالوس) برجاله إلى مصر ، فبلغ (ميوس هورمس) Myus Hormus في أحد عشر يوماً ، وسار بمن بقي من رجال هذه الحملة على قيد الحياة ، من هذه المدينة على ساحل مصر الشرقي إلى مدينة (قفط) Captus = Koptus ، ومنها إلى الإسكندرية [4] .

نرى من خبر (سترابون) عن حملة (أوليوس غالوس) أن اول موضع نزل فيه الجيش الروماني في بلاد العرب ، هو فرضة (لويكة كومة) ففي هذه

---

١ Strabo, XVI, IV, 24, «Marsiaba», Skizze, II, S.; 48.

٢ Strabo, XVI, IV, 24.

٣ وقرأها بعضهم « نيرا » Nera و Egra وغير ذلك لاختلاف النسخ • راجع : و Strabo, Vol., III, P., 212, (Bohn's Classical Library), Note : I, Glaser; Skizze; 11, S., 48, Pliny, VI, 159-162.

٤ Strabo, XVI, IV, 24, Die Araber, 1, 97.

الفرضة أنزل الجيش ، وفيها استراح ، ومنها اتجه في سيره لتحقيق الغاية التي من أجلها جاء . وأما الميناء الذي أبحرت منه هذه الحملة المخفقة ، فكان ميناء (أكرا) Egra او (نيكـــرا) Negra (نـــيرا) Negra Kome Nera Nera Kome بحسب اختلاف القراءات . ويرى (فورستر أن Negra أو Nera هي (ينبع) الفرضة الشهيرة ، وفيها عيون عذاب غزيرة[1] . وهو الميناء الثاني في الحجاز في الزمن الحاضر ، وميناء (المدينة)[2] . ويرى أن كلمة (نيرا) اليونانية تعني (ينبع) في العربية ، ولذلك يعني Nera Kome في العربية (مدينة ينبع) ، وأن Nera Kome التي أبحر منها اليونان هي ينبع ، لا مكان آخر ، في رأي هذا الباحث[3] . وأما (كلاسر) ، فلم يتأكد من موضع Egra . أمـــا (شبرنكر) : فيرى أنه (عوينـد) الواقع على خط عرض (٢٧) درجة وخمس ثوان[4] . وأما (فلبي) فيرى احتمال كونه (مدائن صالح)[5] . وهو رأي يتعارض مع قول (سترابون) ان Egra هي في أرض (عبادة) وعلى ساحل البحر ، ومنها أبحر رجال الحملة إلى مصر[6] .

ويذهب البعض أن قرية Egra ، هي (الحجر) . وهي بعيدة بعض البعد عن ساحل البحر ، ويرى أنها كانت متصلة بميناء عرف باسمها أيضاً . كما أن ميناء (مدين) عرف باسمها أيضاً . ويرى أنه (الوجه) في الوقت الحاضر[7] .

ويزعم (سترابون) أن الاصابات التي أصـــابت الرومانيين ، إنما هي من الأمراض والأوبئة ومشقات الطرق . أما من المعارك فلم يتكبدوا فيهـــا إلا سبع إصابات[8] . وفي زعم (سترابون) المذكور مبالغات ولا شك ، اذ كيف يعقل عدم تكبد الرومان خسارة ما ، مهما قيل في تنظيم الجيش وحسن تدريبه ؟ وقد أشار في كلامه على احدى المعارك ، التي هاجم فيهـــا العرب والرومان ، إلى

---

١ البلدان (٨ / ٥٢٦) ، فؤاد حمزه (ص ٤٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٥ ومواضع أخرى)
٢ حافظ وهبة (ص ١٦ ومواضع أخرى) .
٣ Forster, II, P., 293.
٤ Glaser, Skizze, II, S., 63.
٥ Philby, Backround, P., 101.
٦ Strabo, III, P., 213.
٧ Die Araber, 1, 97, W. W. Tarn, in : Journal Egypt. Archeol. 15, 1929, 17.
٨ Strabo, XVI, IV, 24, Vol., III, P., 213.

أنهم تكبدوا عشرة آلاف قتيل على حين خسر الرومان قتيلين اثنين فقط[1] . وفي هذا القول وحده ما فيه من مبالغة ظاهرة .

لم يذكر (سترابون) — وهذا أمر يؤسف عليه جداً — من أسماء المواضع التي مر بها الرومان ، او من اسماء القبائل التي اتصلوا بها ، او اصطدموا بها، غير ما ذكرت ، وهو شيء قليل جداً ، لا يتناسب أبداً مع أهمية تلك الحملة التي قضت أشهراً في بلاد العرب ، خاصة إذا ما تذكرنا ان الرجل كان سائحاً وكاتباً وجغرافياً ومؤرخاً ، وكان صديقاً لقائد الحملة ، ومدافعاً عنه ، وقد كان نفسه من المشاركين في الحملة ، في رأي بعض الباحثين[2] . وما ذكره في الجملة عن بلاد العرب ، يدل على أن معارفه عن جزيرة العرب محدودة ، وقد استقاها من كتب من تقدمه من المؤلفين أو من السياح والملاحين والتجار من غير تدقيق أو نقد . وأعتقد أن اقدامه لم تطأ ارضاً في جزيرة العرب . وليس هنالك من شاهد يثبت اشتراكه في هذه الحملة ، ولست أعتقد أن لدى القائلين باشتراكه فيها دليلاً قوياً يثبت ذلك الرأي . ولعله نقل ما قصه عن الحملة من تقرير قدمه اليه صديقه (أوليوس غالوس) أو أحد الذين اشتركوا فيها .

وترتب على قلة أسماء المواضع التي ذكرها (سترابون) في خبر هذه الحملة صعوبة إدراك الطرق التي سار عليها (أوليوس غالوس) إلى موضع وصوله Marsiaba ، وهو آخر ما وصل اليه ، ثم الطرق التي سلكها في رجوعه حتى موضع ابحاره إلى مصر . وأبرز اسم بين هذه الأسماء التي ذكرها (سترابون) : Negrani – Negrana أي (نجران) في رأي أكثر الباحثين[3] .

وبين (لويكة كومة) و (نجران) مواضع كثيرة ، وأرضون واسعة ، لم يذكرها (سترابون) ، وكل ما ذكره هو أن الجيش دخل بعد تركه ميناء (لويكة كومة) أرض ملك يعرف بـ (الحارث) Aretas ، ثم أرضاً يقطنها الأعراب ، وهي صحراوية في الأكثر ، تعرف باسم (أراربن) Ararene[4] ،

---

١ Strabo, XVI, IV, 24, Glaser, Skizze, 11, S.; 50.

٢ O'Leary, P. 75.

٣ Glaser, Skizze, II, 48, O'Leary, P. 78; Beiträge; S. 31.

٤ Strabo, XVI, IV, 24, VOL., III, P., 212.

وقد ذهب (الحارث) إلى ربـــه ، وذهب معـه (سترابون) ، فأي أرض قصدها صاحب خبر هذه الحملة التي تعود إلى (الحارث) ؟ وأي أرض هي Ararene ؟. لقد ورد في الكتب الاسلامية اسم قبيلة تعرف بـ (بني الحارث ابن كعب) ، وذكرها الهمداني وذكر مواضعها[1] ، وتقع شمال (نجران) إلى وادي تثليث ، ويرى (كلاسر) انهـــا الأرض التي قصدها (سترابون) وان (الحارث) Aretas هو (الحارث بن كعب) ، وهو كناية عن جد هؤلاء الذين أصبحوا في الاسلام يسمون (بني الحارث بن كعب)[2] .

وأرى ان Aretas هو اسم ملك كان يحكم منطقة نزل فيها الرومان ، وانه رجل كان حقاً من ذوي قرابة (عبادة) ملك النبط ، وان الرومان عرفوا اسمه ولم يعرفوا اسم أرضه الواسعة فنسبوها اليـه ، فقالوا : أرض Aretas كما يقول العوام في العراق عن نجد والمملكة السعوديـة : (أرض ابن سعود) أو (قيعان ابن سعود)[3] أو كما يقولون حتى اليوم لأرض قبيلة من القبائل (أرض فلان) ، ويذكرون اسمه ، لاشتهاره ولقوة شخصيته .

وقد ذهب (كسكل) إلى ان المراد بأرض Aretas (الحارث) مملكـــة لحيان . وقد كانت هذه المملكة لا تزال — على رأيه — قائمة في هذا العهد ، فجاء اليها الرومان وذهبوا منهـــا نحو الجنوب في اتجاه اليمن . غير أن بعض الباحثين يعارضون رأيه هذا ، لأنهم يرون ان مملكة لحيان لم تكن قائمة موجودة في هذا الوقت ، أي في حوالي السنة (٢٥ ق. م.)[4] .

ويرى (كلاسر) ان Ararene ، هي (عراعران) (عراعرين) ، وهو موضع ذكره (الهمداني) في كلامه على (سروم) من ديار جنب قبل (القرحاء)[5] وأن Sabus هو تحريف (شعب) أي قبيلة . وامـــا النهر الذي نشبت عنده معركة قتل فيها على زعم (سترابون) عشرة آلاف قتيل ، فهو (غيل الخارد) في الجوف[6] . وعلى هذا يكون الروماني قد دخل الجوف وسار الى مدن Nescus

---

١ الصفـة (ص ١١٦) .
٢ Glaser, Skizze, II, S., 52.
٣ ينطقون القاف « كاف » أعجمية گ .
٤ Die Araber, I, S., 96, Caskel, Liyan, S., II. f.
٥ الصفـة (ص ١١٥) .
٦ Glaser, Skizze, II, II, S., 55, 61.

Aska = Asca = Nesca ، وهي (نشق) المعينية القديمة . و Atroula ، و Marsiaba Athrulla[1] . والجوف هو موطن المعينين ، فلما غلبهم السبئيون على أمرهم ، أصبحت السيادة عليه لسبأ قبل مدة طويلة من وصول الرومان اليه. ويظهر أن السبئيين كانوا يتصورون ان الرومـــان يسلكون الطريق التي هي الى الغرب . فلما سمعوا أنهم سلكوا طريقاً تقع الى الشرق ، أسرعوا الى الجوف ، لمنعهم من الزحف الى العاصمة . ويرى (كلاسر) أن الرومان سلكوا في مسيرهم الى اليمن طريقاً تقع على حافات (السراة) الشرقية ، وذلك ليتجنبوا الاحتكاك بالقبائل الساكنة على الطريق التجارية التي تسلكها القوافل التجارية[2] . ويعـــارض رأي (شبرنكر) الذي يذهب إلى أنهم سلكوا طريق وادي إضم الى المدينة ، ومنها إلى نجد فالفلج ، ومنه الى نجران[3] . أما (فورستر) ، فيرى ان الرومان بعد أن نزلوا (لويكـــة كومة) ، وهـــي في نظـره (الحوراء) ، سلكوا طريق (يثرب) ، ثم اتجهوا الى (القصيم) حيث دخلوا قلب نجد ، ثم عقبوا بعد ذلك الطريق المؤديـــة إلى اليمن ، فساروا في اتجاه نجران ، ومنها دخلوا اليمن ، فاصطدموا باليمانيين على نحو ما قصه علينا (سترابون) و (بلينيوس)[4]. ولما عادوا ، سلكوا طريقاً أخرى أقصر ، وفرت عليهم بعض الزمـن . مرّوا بنجران ، ومنها إلى (الآبار السبع) (العيون السبع) وهي (الحصبة)، وهو موضع يقع على مسافة (١٥٠) ميلاً الى الغرب من نجران ، ومنـــه الى موضع Chaalla ، وهو (خولان) في بلد (خولان) ، ومنه إلى Malotha ، وهو مدينة تقع على نهر هو وادي (ضنكان)[5] . ويرى أن Malotha هي (تبالة)، ومن (تبالة) الى (ينبع) حيث أبحر من بقي حياً من الرومان الى مصر[6] .

وذكر (سترابون) ان موضع (الآبار السبع) انما دعي بهذا الاسم لوجود

---

١ Die Araber, II, S., 50.

٢ Glaser, Skizze, II, S., 62.

٣ Glaser, Skizze, II, S. 54.

٤ Ibid, II, S., 50, Forster, II, P., 303.

٥ وهو واد في اسافل السراة يصب في البحر . وهو من مخاليف اليمن ، البلدان (٤٤٢/٥) .

٦ Forster, II, PP., 328.

آبار فيه [1] . ومن الصعب جداً في الزمن الحاضر البت في موضع هذا المكان . أما (فلبي) ، فيرى انه أرض (خيبر) التي اشتهرت بكثرة مياهها ، أو موضع (بيشة) . وأما Chaalla و Malothas ، فيرى (فلبي) انهما موضعان غير معروفين ، يصعب تعيينها في الزمن الحاضر[2] . وتفصل بين (الآبار السبع) و Chaalla صحراء . و Chaalla قرية تليها قرية أخرى هي Malothas وتقع على نهر[3] .

ويرى (كلاسر) احتمال كون Chaalla ، موضع (كهالة) ، أو موضع ما يدعى بـ (حوالة) ، وهو – في نظره – موضع Achoali في تأريخ (بلينيوس)[4]. وأما Malothas ، القرية التي تقع على نهر ، فيرى ان من الصعب تعيين موضعها ، ولكنها تقع على وادي (بيشة) على كل حال[5] . و (كهالة) موضع من المواضع المعروفة في اليمن ، وبه مياه[6] . ولا يمكن أن يكون المكان الذي قصده (سترابون) ، لأن ذلك المكان بعيد عن (الآبار السبع) ، وتقع (الآبار السبع) على مسيرة أحد عشر يوماً عن Negrana ، أي (نجران) ، فيقع مكان Chaalla ، اذن شمال (الآبار السبع)،أي أبعد منه عن (نجران) . فهو اذن من الأماكن التي يجب البحث عنها في الحجاز .

وسجل خبر حملة (أوليوس غالوس) على اليمن باختصار رجل آخر مات بعد (سترابون) (المتوفى عام ٢٤ ب. م.) بمدة قصيرة ، هو (بلينيوس) المتوفى سنة (٧٩ ب. م.)[7] . وقد أشار في مطلع حديثه عن الحملة إلى أن (أوليوس غالوس) كان الروماني الوحيد الذي أدخل محاربي (رومة) جزيرة العرب . وقد خرّب مدناً ، لم يرد ذكرها في كتب من تقدمه من المؤلفين ،

---

١ Strabo, III, P., 212.

٢ Philby, Backround, P., 101.

٣ Strabo, III, P., 212.

٤ Glaser, Skizze, II, S., 63.

٥ Ibid,

٦ الصفة (ص ١٨٨ ، ٢٠١) ، البكري ، معجم (٤٨٢) ، « طبعة وستنفلد » .

٧ H. Rackham, Pliny, Natural History, Vol., I, P., VII, ( ) (Leob Classical Library).

ولذلك ذكرها ، وهـي : Negrana و Nestus[1] و Nesca و Magusus[2] و Caminacus[3] و Labaetia[4] و Mariba[5] التي يبلغ طول محيطها ستة أميال، و Caripta ، وهي أبعد موضع بلغه (غالوس)[6] . وأمـا (ديوكاسيوس) Dio Cassi ، فيرى ان مدينة Adula هي آخر موضع بلغه الرومان[7] .

و Negrana ، هي نجران كما ذكرت سابقاً . اما Asca و Nesca ، Neska فمدينة (نشق) وتعرف اليوم بـ (البيضاء)[8] . واما Magusum = Magusa ، فيرى (كلاسر) انها قريبة من (مجزر) ، وهو موضع يقع جنوب (البيضاء) او (مجزع) ، او (مجزأة)[9] . وأما (كروهمن) Grohmann فيرى أنها قرية (مجزرة) المعروفة حتى هذا اليوم . وهي في موضع ذي مياه ، وقد كان مأهولاً وما زال . لذلك رأى انه ذلك المكان الذي قصده (بلينيوس)[10] .

وأما Caminacum ، فهو قريب من (كمنـة) (كمنهو) الواردة في المسند . و (كمنا) في الزمن الحاضر[11] ، ويقع شرق (البيضاء) وشمال شرقي (مجزر)[12] . وأما Caripeta ، فيرى (كلاسر) أن هذه التسمية قريبة من من (خربة) العربية ، وان (بلينيوس) الذي اوردها إنما اراد احدى المدن التي كانت خربة في ذلك العهد[13] . ويذهب (فلبي) الى هـذا الرأي أيضاً ، ويرى احتمال كون Caripeta موضع (خربة سعود) . وذهب بعض آخر الى

---

١ «Amnestrum», «Nestrum», «Nestum», Skizze, II, S., 56, 61; «Nestum»; Pliny; II, P., 458.

٢ «Masugum», Magusum», Glaser, Skizze, II, S., 56, 61.

٣ Pliny, II., P., 458, «Caminacum», Glaser, Skizze, II; S.; 56; 61.

٤ «Labecia», «Labetia», «Labaetiam», Glaser, Skizze, II, S., 56; 61; Pliny; II; P.; 458.

٥ «Maribam», «Mariva», Skizze, S. 56, 61, Pliny, II; P. 458.

٦ Pliny, II, P., 458. f., Bk. VI, 160.

٧ Glaser, Skizze, II, S., 56.

٨ Glaser, Skizze, II, S., 61, Beiträge, S., 31.

٩ Glaser, Skizze, II, 61, Beiträge S. 31.

١٠ Beitrage, S., 15.

١١ الصفحة (١٦٧) .

١٢ Glaser, Skizze, II, 61, Beiträge, S. 31.

١٣ Glaser, Skizze, S., 58.

انها موضع (حريب) ويسمى بـ (اساحل) في (رغوان)[1] .

ويرى (شبرنكر) أن Labetia او Labecia إنما هي (لقبق) . اما (كلاسر) ، فيرى انها (لوق) ، وهو موضع خربة في (شحاط) عند جبل (قدم) على مسيرة ساعتين من شمال شرقي معين ، او قاع (لبة) غرب البيضاء[2] ، وان Nestum هي (نسم)[3] ، او (وادي وسط) ، الواقع بين الخب والجوف ، او (وادي وسطر)[4] ، او (نشان) (نشن) ، المدينة المعينية القديمة[5] ، ، ان Marsiaba ، او Mariva ، إنما هي Mariba لدى (سترابو) اي (مأرب) في رأي بعض الباحثين . اما (كلاسر) فيرى ان الرومان لم يتمكنوا من الوصول الى مأرب ، وان Marsiaba او Mariva أو Mariaba ، لا يقصد بها مأرب عاصمة سبأ ، وإنما هي موضع آخر في الجوف[6]. فلو كانت هي عاصمة سبأ ، لما ذكر (سترابون) انها عاصمة شعب يعرف باسم Rhamanitae ، كما يحكمه ملك ، يسمى Ilasaros ، وفي ذلك دليل على انها مأرب اخرى ، لا مأرب السبئيين[7] .

و Ilasaros من الأسماء العربية ، ولا شك ، وقد صحف على ما يظهر ، فصار بهذا الشكل . والظاهر انه (الشرح) (اليشرح) في الأصل . وقد رأينا ان عدداً من ملوك العرب الجنوبيين عرفوا باسم (الشرح) . وقد يكون سيد قبيلة من القبائل الكبيرة ، اسمها Rhamanitae على حد قول (سترابون) .

ولسنا نعلم على وجه التحقيق من هم Rhamanitae الذين كان يحكمهم (الشرح) وقد رأى (فلبي) احتمال كونهم (ردمان) أو (ريمان)[8] . واذا أخذنا بهذا الرأي ، وجب القول إن Marsiaba هي مدينة أخرى،لا(مأرب) عاصمة سبأ كما ذهب (فلبي) الى ذلك . و (ردمان) من الأسماء المشهورة

---

١ Philby, Sheba's P. 10, Beiträge, S. 31.
٢ Glaser, Skizze, II, S. 61, Beiträge, S. 31.
٣ الصفحة (١٦٧) .
٤ Glaser, Skizze, II, S., 62.
٥ Beiträge, S. 31.
٦ Glaser, Skizze, S., 58.
٧ Glaser, Skizze, S., 62.
٨ Phily, Background, P., 98.

المعروفة . وقد ورد في الحديث : « أملوك ردمان » ، أي مقاولها[1] . وقد ورد اسم (ردمان) في مواضع عديدة في كتاب (صفة جزيرة العرب)[2] . كما ان (ريمان) من الأماكن الشهيرة كذلك وهو مخلاف باليمن وقصر[3] . وأما (كلاسر) فقد سبق ان ذكر جملة أسمـاء تحتمل في رأيه أن تكون لها علاقـة باسم هذه القبيلة . وهو يرى أيضاً احتمال كون الاسم Rambanitae بدلاً من Rhamanitae . وأما الأسماء التي ذكرها ، فهي : (رغوان) ، و (رابن) (رأبان) (ربان) و (رحبة) (رحابة) ، و (ريمان) ، و (غيمان) ، و (ردمان)[4] . أما (رابان) (ربان) و (ردمان) ، فمن أسماء القبائل أيضاً . ويرى ان موضع (ردمان) هو الى الجنوب من الأماكن التي بلغهـا الرومان ، ولذلك استبعد اسم (ردمان) من هذه الأسماء ، ثم استبعد كذلك (غيمان) ، و (وريمان) و (رحبة) أيضاً . فلم يبق لديه من هذه الأسماء الا (رغوان) و (رابن) (رابان) . أما موضع (رغوان) ، فيرى ان مكانه ملائم تمام الملاءمة ، إلا انه لم يثبت عنده انه اسم قبيلة ، فرجح اسم (رأبان) عليه ، وهو اسم قبيلة ورد في نصوص المسند ، ورد مثلاً في نص : « Glaser 302 »[5] ، ويعود الى أيام (ملوك سبأ) وكانوا من المعاصرين لمملكة (سمعي) ، ويرى ان الرأبانيين كانوا قد حافظوا على استقلالهم ، فكانت لهم مملكة في أيام (أوليوس غالوس) والظاهر انها حلت محل (سمعي) ، غير ان هذا لا يعني انها كانت مملكة بالمعنى المفهوم ، بل كانت مشيخة أو إمارة يتمتع ساداتها بلقب (ملك) ، وكانت تابعة لمملكة (سبأ وذي ريدان)[6] .

وقد ذهب بعض الباحثـين الى أن Ilasaros هو (الشرح يحضب) وكان إذ ذاك في نزاع وصراع مع (ذي ريدان) أي الحميريين الذين كانوا قد ظهروا للوجود ، وأخذوا ينازعون الأسرة السبئية الحكم منذ حوالي سنة (١٠٠ ق. م.) وذلك في عاصمتهم (ظفار) ومن مقرهم في حصن (ريدان) . فكان غـزو

---

١ منتخبات (ص٧٦) ، البلدان (٤/٢٤٤) .
٢ الصفة (٥٥ ، ٨٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٣٥) .
٣ البلدان (٤ / ٣٥١) ، الصفة (٧١ ، ٧٥ ، ١٠٠ ، ١٢٥ ، ٢٢٤) .
٤ Glaser, Skizze, II, S., 59.
٥ Glaser, Skizze, II, S., 59.
٦ Glaser, Skizze, II, S., 60.

(أوليوس غالوس) لليمن في وقت ملائم جداً للرومان ، ولكن ظروفاً أخرى عاكستهم فاضطرتهم إلى التراجع والعودة فتمكن بذلك (الشرح) من التغلب على خصومه[1] .

وقد ذهب (فون وزمن) الى ان مدينة Marsaiba/Marsiaba هي (مأرب) ، وقد حرفت وتحولت من Mariaba ، حتى صارت على الشكل المذكور . وقد ذكر (سترابون) ان (أوليوس غالوس) حاصرها مدة ستة أيام ، ثم رفع الحصار عنها لقلة مياه الشرب ، واضطر بذلك الى التراجع[2] .

وأما شعب Rhamanitai/Ramanitai فانه (ريمان) . وريمان قبيلة عربية ورد اسمها في عدد من كتابات المسند . ويرى (فون وزمن) ان الرومان أخطأوا في اسم الشعب ، وذلك لأن قبيلاً من أقيال هذه القبيلة كان هو المدافع عن (مأرب) في ذلك الزمن وقد سمعوا باسمه ، فظنوا ان ريمان اسم أهل مأرب ، ولذلك جعلوا (مرسيابة) عاصمته وصيّروا Ilassaros ملكاً من ملوكهم من جراء وقوعهم في هذا الوهم[3] .

وذهبت (بيرين) Pirenne إلى ان Marsiabe والصور الأخرى للكلمة ، إنما حدث من تحريف وقع في اليونانية ، وان الأصل (مأرب سبأ) . فحرفها اليونان الى Marsiabe . وقد استدلت على صحة رأيها بما ورد في المؤلفات العربية (من مأرب سبأ)[4] .

وقد ذكر (بطلميوس) شعباً سماه Rabanitai او Arabanitai ، تمتد مواضعه الى جبل Klimax ، أي الجبل المدرج ، والظاهر انه يقصد سلسلة (السراة) التي يعمل الناس فيها مدرجات لغرس الكروم ، وغيرها . وذكر بعدهم شعباً آخر هو Masonitai . يرى (كلاسر) انه (مأذن)، ويسكنون في أعالي (الخارد) اي في جوار (رأبان) ، وهو يطابق قول (بطلميوس) وواقع الحال[5] .

---

١ Beiträge, S. 33.

٢ Beiträge, S., 32.

٣ Beiträge, S., 34.

٤ Die Araber, II, S., 50, Le Royaume Sud Arabe de Qataban et sa Datation, 1961, 112.

٥ Glaser, Skizze, II, S., 60.

وقد وردت جملة كتابات ذكرت اسم (ريمان) منها كتابة من أيام (الشرح يحضب) . وقـد تبين من تلك الكتابات ان (آل ريمان) كانوا من الأسر المعروفة في هذا العهد ، ومنهم من تولى مناصب دينية وحكومية ، ولذلك رأى بعض الباحثين انهم هم Rhamanitae الذين ذكرهم (سترابو) . ويرون ان سترابو إنما سمى مدينة Marsiaba اي (مأرب) بمدينة الـ Rhamanitae لأن الذي حارب الرومان وقاتلهم ودافع عن المدينة قائد (ريماني) ،اي من (ريمان) ، فظن (سترابو) انها مدينة من مدنه فنسبها اليه[1] .

ومن طريق (صراوح) تراجع (أوليوس غالوس) ، على طريق (اترلة) Athrulla إلى (نجران) سالكاً وادي مذاب ، ثم (وادي دماج)[2] . أمـا (الآبار السبع) التي ذكرها (سترابون) ، فتقع ، في رأي (كلاسر) ، في (عسير) . واما موضع (Chaalla) ، فهو (كهالة) او (حوالة) ، ومنه الى Malothas الواقع على نهر ، لعله (وادي بيشة) ، الى موضع قفر ، اوصلهم الى تهامة عسير فالحجاز فمدينة Egra حيث البحر منها الى مصر[3] . وما ذكرته آنفاً عن تشخيص هذه المواضع التي ذكرها (سترابون) او (بلينيوس) او (ديو كاسيوس) ، إنما هو مجرد آراء وحوس . لعدم وجود كتابات او ادلة لدينا ترشدنا الى تعيين تلك المسميات على وجه مقنع صحيح .

وقـد ذهب (ديو كاسيوس) Dio Cassius الى ان مدينـة Athrula Athoula / Athulula ، كانت آخر موضع بلغته جيوش (اوليوس غالوس) في العربية الجنوبية ، وهو يخالف بذلك (بلينيوس) الذي ذكر ان مدينة Caripeta هي آخر المواضع التي بلغها جيش الرومان. ومدينة Athrula/Athloula/Athlula هي مدينة (يثل) على رأي بعض الباحثين الذين يرون ان الروم حرفوا الاسم العربي حتى صيّروه على الشكل المذكور ليستقيم بذلك مع لسانهم[4] .

ولم ترد في النصوص العربية الجنوبية اشارة ما الى غزو قام به الروم أو غيرهم لبلاد العرب . وقد تساءل (كلاسر) عن سبب سكوت المساند وعدم اشارتها

---

١ Philby, CH 322, 432, 512, Rep. Epig. 2742, 2743, Beitrage; S.; 34.

٢ الصفة (٨٢ ، ٨٣ ، ١١٤) .

٣ Glaser, Skizze II, S., 63.

٤ Beiträge, S., 32, Die Araber, II, S., 50.

إلى حملة (أوليوس غالوس) ، هذه الحملة المهمـــة التي لا بد انها قد تركت أثراً بعيداً في نفوس السبئيين وغيرهم من القبائل الساكنة في اليمن والحجـــاز ، ورأى احتمال كون المراد من حملـــة (ذشامت) (ذشمت) الواردة في النص Halevy 535 الرومان المسيطرين على الشأم ، وجملة (ذيمنت) السبئيين[1]. وعلى ذلك يكون هذا النص كما يقول قد تعرض لخبر الحرب التي نشبت بين الرومان والسبئيين . أما أنا فأستبعد جداً هذا الرأي ، بل هذا الاحتمال ،وأرى ان الجواب عن هذا السؤال هو اننا لم نعثر حتى الآن على جميع المساند ، فنذهب إلى أمثال هذه الفرضيات ، وما عثرنا عليه هو شيء يسير بالقياس إلى ما قد يعثر عليه في المستقبل ،ولا سيما إذا ما علمنا ان هذه المساند إنما عثر عليها على ظاهر الأرض، وان العلماء لم يقوموا بحفريات علمية في أعماق الأرض . ولنا وطيد الأمل بالعثور على كتابات كثيرة مطمورة تحت الأنقاض ، قد تأتـــي لنا بوثائق خطيرة عن تأريخ العرب الجنوبيين ، وقد تضع بين أيدينا اصول مكاتبات ومعاهدات ووثائق على جانب كبير من الأهمية ، كما يحدث في سائر الحفريات والتنقيبات ، وإذ لم يقم العلماء حتى الآن بحفريات علمية على نطاق واسع ، فـــلا داعي اذن لإثارة سؤال في الزمن الحاضر كهذا السؤال .

لقد ظن (هاليفي) ان الحظ سيسعده في أثناء سفـــره إلى اليمن ، فيظفره بآثار تشير إلى تلك الحملة الرومانية المخفقة ، غير ان الحظ لم يحالفه، ولم يكتب له التوفيق . كذلك لم يكن الحظ حليفاً لـ (فلبي) ولا لغيره من السائحين[2] . فلم يستطع أحد منهم حتى الآن الاهتداء إلى كتابة عربية او اعجمية او اثر يشير إلى تلك الحملة المشؤومة ،حملة الرومان ، للاستيلاء على العربية السعيدة على أرض الطيب واللبان والمر والبخور .

وأشار (سترابون) الى ان ارض الطيب والبخور ، تتألف من اربعة أقسام، هي : Minaei أي معـــين ، ومدينتهم الكبرى هي : Carna او Carnan و Sabaea وهم سبـــأ ، وعاصمتهم هي Mariaba ، و Chattabanae وهم (قتبان) ، وعاصمتهم Tamna ، وتقع بلادهم على ساحـل البحر العربي ،

---

١ Glaser, Skizze, II, S. 65.

٢ Philby, Background, P., 32.

و Chatramotita ، وهم حضرموت وعاصمتهم Sabata ، وهم أبعد هذه الشعوب إلى الشرق[1] . وقد نقل (سترابون) كلامه هذا من (ايراتوستينس) الذي عاش قبله كما هو معلوم[2] ، فهو يتحدث إذن عن الحكومات الكبرى التي حكمت العربية الجنوبية ، وعن الشعوب التي وصل علمها إلى مسامع اليونان والرومان .

وتطرق (سترابون) بشيء من الايجاز إلى الناحية الاجتماعية التي كانت عليها اليمن في ذلك العهد ، فذكر ان الحياة كانت طبقات،لكل طبقة واجب ووظيفة، وراثية تنتقل من الآباء إلى الأبناء . فهناك طبقة المحاربين ووظيفتهم الدفاع عن الطبقات الأخرى ، وطبقة المزارعين وشغلهم تهيئة القوت والطعام لاعاشة سائر الشعب ، وطبقة ثالثة وظيفتها التجارة ، والتجارة لا تنتقل من أسرة إلى أخرى، وعلى كل فرد أن يمارس حرفة أبيه[3] . وذكر أشياء أخرى يظهر ان طبيعة أكثرها من نوع قصص التجار والسياح ، لا يعتمد على التدقيق والتمحيص .

ويظهر ان تلك الانتكاسة لم تؤثر في خطة (أغسطس) في السيطرة على البحار ، إذ نرى (سترابون) المعاصر لهذا القيصر ، يشير إلى أن الرومان كانوا يرسلون سفناً إلى الهند ، لم يتعودوا ارسال أمثال عددها فيما مضى ، كما عثر على نقود رومانية في الهند ، وأقيم في ساحل (مالابار) معبد كرّس باسم ذلك القيصر ، مما يدل على وجود جالية رومانية فيه[4] . ويظهر ان اسطول الرومان كان قوياً وقد استعمل سفناً كبيرة ، وضع فيها محاربين من رماة السهام ومن المقاتلين المدربين ، وبذلك تمكن من الوصول إلى الهند ومن الرجوع منها بانتظام وبحرية .

لم تصل الينا أخبار مفصلة عن مشروعات الرومان في جزيرة العرب بعد هذه الحملة . والظاهر أنهم غيّروا خططهم السياسية ، وكيفوها تكييفاً جديداً يوائم التطور الذي حدث في الموضع العالمي في القرن الأول للميلاد ، ويناسب الدروس التي تعلموها من حملتهم المخفقة المذكورة . فلم يفكروا في فتح عسكري مباشر

---

١ Strabo, III, P., 190, 213.
٢ Strabo, III, P., 189.
٣ Strabo, III, P., 213.
٤ العرب والملاحة (ص ٧٥) .

لجزيرة العرب يكون متجهاً من الشمال للجنوب ، مخترقاً الطرق البرية ، بل رأوا تقوية أسطولهم في البحر الأحمر ، وتحسين علاقاتهم السياسية بالإمارات العربيـــة وبسادات القبائل ، للمحافظة على مصالحهم الاقتصادية ، وتوجيـــه أنظارهم نحو ساحل إفريقية وحكومـــة الحبشة . فعقدوا اتفاقيات صداقة ومودة مـــع حكام (أكسوم) ، وكونوا حلفاً معهم ، وبذلك أخذوا يضغطون منذ ذلك العهد على السبئيين .

ويحدثنا صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) أن الرومان عقدوا معاهدة تحالف مع ملك (ظفار) ، وهو ملك Homeritae[1] ، وتدل هـــذه الإشارة الغامضة على وجود صلات بين الرومان وبين رئيس حمير في هذا العهد . وفي هذا التحالف ما فيه من شرح للعلاقات السياسية الجديدة التي حدثت بـــين الرومان والعربية الجنوبية ، ومن محاولات الرومان ، ثم البيزنطيين من بعدهم ، التدخل في شؤون البلاد العربية الجنوبية بأسلوب جديد .

ولا ندري متى احتل الرومان ميناء(عدن) الذي يسمونه Eudamon – Emporion واللذي دعاه (بلينيوس) Athene = Athenae = Athaene[2] ، إذ يحدثنا مؤلف (كتاب الطواف حول البحر الأريتري) أن (القيصر) Kaisar استولى عليه في زمن غير بعيد عن زمانه ودمره . وقـــد تصور بعضهـــم أن ذلك وقع في أيام (كلوديوس) (٤١ – ٥٤م) أو قبلها بقليل[3] . ولعل لمساعدات (الأكسوميين) لحكام (رومة) فضلاً في هذا الاحتلال[4] . ولا بد أن يكون هذا الاستيلاء قد حدث من البحر ، إذ لا يعقل وقوعه من البر . فقد كان البر في أيدي السبئيين والقبائل العربية الأخرى . وقد رأينا قبل قليل اخفاق الرومان في الاستيلاء عـلى اليمن ، ورجوعهم عنها خائبين . ولأهمية (عدن) من جميع الوجـوه نستطيع أن نتصور انهم قد حصلوا على فوائد عظيمة من هذا الاحتلال الـذي لا نعرف منتهاه وخاتمته ، وكيف حدثت تلك النهاية .

ويرى بعض البـــاحثين أن استيلاء الرومان على (عدن) كان بعد حملـــة

---

١ Hourani, P., 32.

٢ Stuhlmann, S., 12, Parola del Passato, 9 (1954), 401, Araber; I; S.; 43.

٣ Araber, I, S., 43.

٤ Stuhlmann, S., 12.

(أوليوس غالوس) على اليمن ، وربما بعد الميلاد بقليل . وذلك بعد اخفاق تلك المحاولة الرامية إلى بلوغ المحيط الهندي من البر والاستيلاء على العربية الجنوبية ، تعويضاً عن تلك الخطة الخائبة، فنجح الرومان في الاستيلاء على الميناء من البحر ، وذلك في حوالي السنة (٢٤) بعد الميلاد ، وهو زمن غير بعيد عن حملة (أوليوس غالوس)[١] .

وقد ذهب (مومسن) Mommsen ، إلى أن الاستيلاء على عدن كان قد وقع في أيام (كايوس قيصر) Caius Caesar ، إذ ورد في الأخبار ان أسطوله في البحر الأحمر كان قد استولى على جزء صغير من بلاد العرب ، فيحتمل على رأي (مومسن) أن يكون المكان الذي استولى عليه هو عدن . ويحتمل على رأيه ايضاً ان يكون هذا الاحتلال قد وقع بعد قليل من هذا الوقت . بينما ذهب آخرون إلى أنه وقع في أيام (كلوديوس) Claudius ، أو (نيرون) (نيرو) Nero .[٢]

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن القيصر المقصود هو (كركلا) (كركلا) Caraculla ، وذلك لأنه كان قد هاجم العرب الـ (سكينيته) Scenites في أثناء الحروب الثانية التي أعلنها القيصر (سبتيميوس سويروس) Septimius Severus على (البارثيين) Parthians ، (١٩٧ – ١٩٩ م) . وذهب بعض آخر الى أن في خبر مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الأريتري » بعض الوهم في تثبيت لفظة (قيصر) Kaiser ، وذلك لأن العادة لم تكن قد جرت في ذلك الوقت بتلقيب ملوك (رومة) بلقب (قيصر) . لذلك رأى ان في الكلمة تحريفاً ، وانها قد تعني شيئاً آخر . وقد يكون تحريف Elisar أو Ilaisar ، أي (الأشعر) ، وهم Elisaroi عند (بطلميوس)[٣] . ويرى من يذهب الى ان المراد بـ Kaiser (البزر) Elisar ، أي (الأشعر) (اشعرن) ، ان الاستيلاء على ميناء (عدن) وتخريبه كان بعد اخراج الحبشة عن العربية الجنوبية، وان أرض (الأشعريين) غير بعيدة عن عدن . لذلك فلا تستبعد مهاجمتهم لعدن

---

١ Sanger, The Arabian Peninsula, P., 170.

٢ J. Oliver, Thomson, History of Ancient Geography, Cambridge, 1948, P., 296.

٣ F. Altheim, Geschichte der Hunnen, V, 1962, S. 13, Die Araber; S. 42; Le Muséon; 1964; 3-4. 480.

في وقت غير بعيد عن أيام مؤلف الكتاب ، وان المؤلف ذكرهم، ولكن تحريفاً وقع في الاسم فحوّله إلى Kaiser[1] .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان لفظة Kaiser هي كلمة Ilisaro أو Ilasar المذكورة في خبر (سترابون) عن حملة (أوليوس غالوس) ، وقصد بها (الشرح بحضب) .. وهو يرى ان ميناء (عدن) قد خرب في ابان حروب (الشرح بحضب) مع قتبان وحضرموت،وان مؤلف ذلك الكتاب أراد (الشرح) Ilasar ، ثم حرف النسّاخ اللفظة حتى صارت Kaiser[2] .

وقد صار في امكان السفن الرومانية بعد الاستيلاء على عدن الاستراحة فيها والاقلاع منها إلى الهند وإلى السواحل الافريقية والعودة اليها . وقد وضع الرومان فيها حامية رومانية لضمان سلامة الرومان في هذه المنطقة ، كما وضعوا سفناً تحمل رماة من الرومان لمقاومة لصوص البحر من التحرش بالسفن ، وقد كان أولئك اللصوص يملأون البحار[3] .

وفي عدن عند الـ Crater (الكريتر) صهريج كبير لخزن الماء ، من عهد ما قبل الميلاد على رأي بعض الباحثين ، يتسع لزهاء عشرين مليون (غالون) من الماء ، تأتي اليه من الأمطار ، يظهر انه استعمل في ذلك العهد لتموين هذا الميناء المهم بماء الشرب ، لعدم وجود موارد كافية من الماء ، تسد حاجة أهله به[4] .

وقد حصل ميناء (عدن) على شهرة بعيدة منذ هذا الزمن ، وظل محافظاً عليها وعلى أهميته حتى اليوم . ولا ندري متى اضطر الرومان الى ترك هذا الميناء، على وجه صحيح مضبوط . ولكن الذي نعرفه أن الرومان ، ثم الروم من بعدهم، بقوا يقيمون وزناً له ، ويهتمون بشأنه ، لأنه كان أسهل طريق لهم توصلهم إلى سواحل إفريقية والهند والعربية الجنوبية ، ولذلك كانت فيه دائماً جالية كبيرة من أصحاب السفن والتجار . ولعلّ هذا الاهتمام هو الذي حمل القيصر (قسطنطين

---

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P., 481.

٢ Beiträge, S., 88

٣ Sanger, P. 170.

٤ Sanger, the Arabian Peninsula, P. 208.

الثاني) على إرسال بعثة نصرانية تبشيرية الى عدن ، بلغتها سنة ٣٥٦ للميلاد[١] .

ويفهم من كلام مؤلف (كتاب الطواف حول البحر الأريتري) أن ميناء عدن Eudaimon Arabia كان الموضع الذي تقصده السفن القادمة من مصر ومن الهند ، ففيه تفرغ حمولات تلك السفن لتنقل منها الى مصر أو إلى الهند[٢]، فميناء عدن كان ذا شأن خطير في التجارة العالمية إذ ذاك ، وكان الموضع الذي تتبادل فيه السفن الحمولات .

وعرف ميناء عدن بـ Arabia Emporion عند (بطلميوس)[٣] ، وكان (أورانيوس) Uranius أول من سماه بـ (ادنه) Adana ، أي (عدن)، وذلك كما جاء في كتاب (اصطيفانوس البيزنطي) الذي عاش في القرن الثالث بعد الميلاد[٤] . وذكر اسم Adane في أخبار تنصر الحميريين في أيام القيصر (قسطنطين الثاني) (٣٣٧ – ٣٦١ م)[٥] . وقد سمي ميناء عدن بـ Athana عند (بلينيوس)[٦] وبـ (Adana) ، عند (فيلوستورجيوس) Philostorgius[٧]. وكان قد خرب وتعطل أيام حملة (أوليوس غالوس) ، فحل ميناء Muza على البحر الأحمر محله ، ولكنه مع ذلك لم يفقد منزلته ، وعادت اليه مكانته بعد مدة قصيرة من هذه الكارثة[٨] .

وقد ذكر (بليني) بعد اسم (عدن) Athana = Athenae اسم قبائل جعل أرضها على مقربة من (عدن) . فذكر اسم Caunaravi و Chorranitae و Cesani = Chani[٩] . وفي هذه الأرضين ، وجدت كما يفهم من أخبار (بليني) وغيره ، مدن يونانية سكنها يونان ، منها : Arethusa و Larisa و Chalcis . وهي مدن خربتها ودمرتها الحروب[١٠] .

---

١ Sanger, P. 203.
٢ Beiträge, S. 88.
٣ Beiträge, S. 89.
٤ Beiträge, S. 89.
٥ Philostorg., Hist. Eccles., III, 5, Beiträge, S. 89.
٦ Pliny, 6, 28, 32.
٧ Philosotorgius. H. Eccl., 3, 4, O'Learly, P. 108.
٨ O'Leary, P. 96.
٩ Pliny, 6, 28, 32.
١٠ Araber, I, S., 120.

ويظن بعض الباحثين ان المدن اليونانية التي أشير اليها ، والتي ذكر (بليني) انها خربت ودمرت بالحروب ، هي من المستوطنات التي أنشأها وأقامها (البطالمة) على السواحل العربية ، لايواء السفن اليونانية والتجـار والجنود الذين زرعوا في هذه الأماكن لحماية تجارة البطالمة والسيطرة منها على السواحل العربية وعلى البحار[1]. فلما ضعف أمر البطالمة ، هاجمت القبائل العربية هذه المواضع واستولت عليها ، فخربت تلك المدن ، أو غلب عليها العرب ، وتبدلت أسماؤها إذ تحولت إلى أسماء عربية .

وميناء Qena (قنا) الذي يقع على المحيط الهندي ، كان أيضاً من الموانىء المعروفة التي يقصدها التجار في هذا الزمن فتصل اليه السفن للامتيار وللخروج منه إلى الهند . وشهرته هذه قديمة ، ويغلب على الظن انه ميناء (كنة) الذي ذكر مع (عدن) في سفر (حزقيال) ، لأن القرائن تدل على انه هو المقصود من الآية في هذا السفر : « حَرّان وكنة وعدن تجـار شبا وآشور وكلمد تجارك »[2] .

وقد ذكره (بلينيوس) في جملة الموانىء المقصودة التي كانت السفن الرومانية تصل اليها وهي قادمة من ميناء Berenice بمصر . وهذه الموانىء هي: Muza ، أي (موزع) عند (مخا) و Ocelis عند باب المندب ، و Cane (قنا) الميناء الذي نتكلم عنه[3] .

وذكر مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الأريتري » هذا الميناء أيضاً ، كما ذكر ميناء Muza = Mousa وعدن، و Ocelis = Okylis . وقد ذكر ان هذا الميناء الأخير كان قرية. أما ميناء (قنا) (كنا) (كانه) Kany = Kana (كان) فكان في أرض الملك Eleazoz ، أي (العزيلط) ملك حضرموت ، وذكـر ان في مقابـل هذا الميناء جزيرتين ، تسمى احداهمـا جزيرة الطيور Ogneun ، وتسمى الأخرى جزيرة (القباب) ، والجزيرة الأولى هي جزيرة (سيخا) في الزمن الحاضر ، وأما الثانية فهي جزيرة (براقة)[4] . وذكـر

---

١ 15, (1929), II. Araber, I, S., 121, W. W. Tarn, Journ. Egypt. Arch.,

٢ Beiträge, S. 88.

٣ Beiträge, S. 89.

٤ Beiträge, S. 90.

مؤلف الكتاب المذكور ان اللبان والمر وبقية الأفاويه تحمل من منابتها إلى ميناء Kany وقد تحمل على وسائل النقل المائية المصنوعة من قرب منفوخة بالهواء ، مشدودة إلى جذوع أو أخشاب بحبال تربط بينها ، لتوصل تلك المواد الثمينة إلى الميناء المذكور . ثم توزع من هذا الميناء على التجار أو ترسل في السفن إلى الأسواق العالمية ، كما ذكر ان السفن تذهب من هذا الميناء إلى الهند وإلى الخليج وتذهب منه إلى موانىء الساحل الافريقي كذلك[1] .

وبعد أن كوّن (تراجان) ما يسمى بـ (المقاطعة العربية) (الكورة العربية) Provencia Arabaea في سنة (١٠٥م) أو (١٠٦م) ، أحدث تغيرات مهمة في الادارة وفي طرق المواصلات وأصول الجباية ، فأنشأ طريقاً مهمة من (أيلة) على رأس خليج العقبة مارة بالبتراء فبصرى الى (دمشق)، وصارت (بصرى) محطة مهمة جداً للقوافل القادمة من اليمن والحجاز ، وأصلح القناة القديمة التي تصل النيل بالبحر الأحمر ، وقوى الأسطول الروماني ، وأمده بسفن أحدث وأقوى من السفن القديمة ، وذلك لمقاومة لصوص البحر وللسير بحرية في البحر الأحمر ، ولاحتكار التجارة البحرية التي هي مصدر كل غنى وثراء[2] .

ولا تزال آثار الطريق الرومانية باقية تشاهد حتى اليوم . تشهد بأهمية الطريق وبحسن هندستها بالنسبة الى ذلك الزمن . وهي تمر بمدن وقرى عديدة وتربط بينها : منها (ام الجمال) ، وهو موضع مهم كان ذا أهمية خاصة في العهد الروماني ، وفي ايام النبط ، حيث عثر فيه على كتابات نبطية عديدة ، وموضع (خربة سمرا) وهو موضع اشتهر في العهد الروماني وفي العهد البيزنطي الذي تلاه . وقد عثر فيه على آثار رومانية وبيزنطية ونبطية . ويظهر من مخازن المياه ومن آثار الآبار التي عثر عليها في هذا الموضع أنه كان مركزاً من مراكز تجمع القوافل التجارية ، وموضعاً من مواضع تربية الماشية[3] .

وقد اكتسحت فتوحات (تراجان) مناطق واسعة من الشرق الأدنى، ويقال إنه وصل الى جنوب العراق ، وإنه دخل مدينة (كاراكس) (كركس) Charax ، وإنه نظر سفينة قاصدة الهند ، فتحسر وتنهد ، لأنه بلغ من العمر

---

١ Beiträge, S. 90.

٢ Basoor, Num. 85, 1942, PP., 3, 6.

٣ Basoor, Num. 85, 1942, PP., 6.

مبلغاً لا يسعفه على ركوب تلك السفينة واستنشاق هواء ذلك البحر ، وقد غبط الإسكندر الذي سبقه الى هذا المكان بمئات من السنين ، وكان أصغر منه سناً ، فبلغ مبلغاً لم يصل اليه ملك هذا الامبراطور[1] .

وقد كان على مقربة من (الرها) Edessa سيد قبيلة عربية اسمه (معنو) Ma'nu أي (معن) . وكان يحكم العرب المجاورين . ولما طلب القيصر (تراجان) حضوره اليه لمكالمته لم يلب طلبه بالرغم من علامات الودّ التي أظهرها له . ذلك لأن القيصر كان يشك في نياته ، فخاف أن يقبض عليه ، وتراجع إلى مواضع بعيدة ، فاستولى الرومان على (سنجار) Singara وكانت تابعة له . وقد نزل العرب فيها واختلطوا بسكانها الأصليين[2] .

لقد كان البخور رأس بضائع العالم الثمينة المطلوبة في ذلك العهد . كان سعره يساوي سعر الذهب والبترول في هذه الأيام . ولم يكن يشتريه لغلائه هـذا إلا رجال الدين ، لاستعماله في الشعائر الدينية التي تستنزف القسم الأكبر منه،والملوك والأثرياء ، وذلك لحرقه في المناسبات الدينية وفي اجتماعاتهم . ونجد المؤرخ الكاتب (بلينيوس) يشتكي من تبذير (نيرون) عاهل (رومة) (٥٤ — ٦٨ م) ومن إسرافه في حرق البخور واللبان لاجراء شعائر جنازة زوجه المتوفاة . فقد كلف حرق تلك المادة الضرورية في مثل هذه المناسبات خزينة الدولة ثمناً باهظاً لارتفاع أسعارها في ذلك الزمن[3] .

وآخر ما يقال عن تدخل الرومان في شؤون جزيرة العرب ، هو ان القيصر (سبتيموس سفيروس) Septimus Severus ، أرسل حملة عسكرية في سنة (٢٠١ م) توغلت في (العربية السعيدة) ، غير ان معارفنا عنها قليلة ، فلا نعلم إلى أين وصلت وكيف انتهت[4] . ولعلها كانت قد تقدمت من (المقاطعة العربية) ، وهي المقاطعة الجديدة التي أوجدها الامبراطور (تراجان) على حطام مملكة النبط . وكان الذي قاد الحملة العسكرية على (العربية السعيدة) Eudaimon Arabia ابن القيصر (سبتيموس سفيروس)[5] . وقد اشتهر فيها ،

---

١ العرب والملاحة (ص ٤٩) .
٢ Die Araber, I, S., 313.
٣ العرب والملاحة (ص ٧٥) .
٤ Stuhlmann, S., 12.
٥ Die Araber, I, S., 44.

غير ان معارفنا عنها لا تزال قليلة . وقد وردت أخبار هذه الحملة في موارد لم تشر إلى اسم القيصر الذي أمر بتجريد تلك الحملة على (العربية السعيدة) ، إذ اكتفت بذكر لفظة (قيصر) . ويظهر منها ان جيوش القيصر أنزلت خسائر فادحة أولاً بالعرب الساكنين في البادية وقد دعتهم تلك الموارد بـ Skenitae ، أي (سكان الخيام) ويراد بهم الأعراب ، ثم سارت تلك الجيوش حتى بلغت (العربية السعيدة) ، وذلك في السنة (١٩٦ – ١٩٨ ب. م.) . ولا نعلم إلى أي مدى وصل اليه القيصر أو ابنه في هذه الغزوات[١] .

وقد ذهب بعض الباحثين إلى ان (كره كالا) Caracalla الذي خلف والده (سبتيميوس سفيروس) Septimus Severus في الحكم ، هو الذي قاد الجيش الروماني الذي زحف على العرب الساكنين في أعالي (العربية السعيدة) Arabia Eudaimon كما يسميها (بطلميوس) ، وانه في ذلك العهد كانت حروب (سبتيميوس) مع (البارثيين) Parthians (١٩٧ – ١٩٩ م)[٢] . ويرون ان الرومان لم يتوغلوا بعيداً في جزيرة العرب ، وربما كان أقصى ما بلغوه ديار ثمود[٣] .

وفي كتاب « بحث في القضاء والقدر » Dialog über das Atom وهو المسمى أيضاً بـ « كتاب قوانين البلاد » Buch der Gesetze der Länder لـ (بردیصان) Bardesanes الذي عاش فيما بين السنة ١٥٤ والسنة ٢٢٢ للميلاد إشارة إلى ان الروم لما استولوا على العربية Arabia من عهد غير بعيد عن أيامه ، أبطلوا قوانين أهلها البرابرة[٤] . ويقصد بالبرابرة الأعراب على ما يظهر . ويظهر انه قصد بذلك الحملة الرومانية المذكورة[٥] . وفي تأريخ الامبراطورية الرومانية أسماء رجال يرى بعض المؤرخين انهم كانوا من أصل عربي، من هؤلاء (يوليا دومنا) Iulia Domina ، و (يوليا ميا) Julia Maesa ، و (ايلاكبل)

---

١ Die Araber, I, S., 44, II, S., 62, Miller, In Cambridge Ancient History, 12, (1939), 9, 16.

٢ F. Altheim, Geschichte der Hunnen, V, 1962, S., 13, Die Araber, I, S., 42.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, PP. 480.

٤ W. Cureton, Spicilegium Syriacum, 1955, 30.

٥ Die Araber, I, 43.

Elagabal (٢١٨ – ٢٢٢ م) ، و (يوليـا ماميـة) Julia Mammaea و (سيفيروس الكسندر) Severus Alexander (٢٢٢ – ٢٣٥ م) ، وكانوا في رأيهم من أسرة دينية عربية . أما (فليب) Philippus (٢٤٤ – ٢٤٩م) الذي تولى عرش (رومة) ، فقد عرف بـ (فليب العربي) ، وقد برز نفر من أسرة (الزباء) ملكة تدمر ، ونالوا مراكز ممتازة في الامبراطورية الرومانية [١].

وقد سعى القيصر (سفيروس الكسنـدر) (سويروس الكسندر) للوصول إلى الخليج ، وذلك في حروبه مع الفرس سنة (٢٣٢ م) . وقد تمكنت بعض قوّاته الزاحفة عن طريق نهر الفرات من بلوغ (البطائح) ، ولكنها جوبهت بمقاومة عنيفة من الفرس ، حتى اضطرت الى العودة من حيث أتت ، ولم تتمكن من تحقيق هدفها المنشود [٢] .

وحاول (فيليب العربي Philipus Arabus ، جاهداً الوصول الى الهند والسيطرة على الخليج ، غير أن الحظ لم يكن في جانبه في حروبه مع الفرس ، واضطر إلى ترك ذلك المشروع الخطير [٣] .

وقد انتهز الأعراب فرصة الكارثة التي نزلت بالقيصر (فاليريان) Valerianus (٢٥٣ – ٢٦٠ م) ، بتغلب الفرس عليه ، فأخذوا يهاجمون الخطوط الرومانية الدفاعية ، ويباغتون مدنها بغزوهم لها ، مما حمل من جاء بعده من حكام (رومة) على تقوية الحصون واعـادة ترميم استحكاماتها ، ومن هـذه مدينة Adraha ، وهي (درعه) (درعـا) (الدرعة) . لتصمد أمام غارات الأعراب التي تكاثرت عليها [٤] .

وقد كوّن الرومان كتائب من الجنود العرب ألّفوها لحماية الطرق وللدفاع عن حدودهم الطويلة المتصلة بالبوادي ، وهي حدود يصعب على الجيوش النظاميـة حمايتها ، ولذلك عمدوا الى تكوين هذه الكتائب . ونجد في الكتابات (الصفوية) كتابات دوّنها أصحابها يذكرون فيها فرحهم وحمدهم لآلهتهم لأنها ساعدتهم في فرارهم من الخدمة في الجيش الروماني ، ورجوعهم إلى أهلهم سالمين ، بعـد

---

١ Die Araber, I, S., 4.

٢ Die Araber, II, S., 63, Herodian, 6, 5, 2; 9-10.

٣ «Philip The Arabian», Porphyr., V, Plot., 3 : Die Araber, II, S., 63.

٤ Die Araber, II, S., 251.

أن قتل غيرهم في أثناء فرارهم على أيدي من كان يتعقبهم من عساكر الروم أو البيزنطيين لإجبارهم على الرجوع الى ثكناتهم . والظاهر أن كثيراً من هؤلاء كانوا من الجنود المرتزقة أو المسخرة التي أكرهت على الخدمة في الجيش . فنجد في احدى الكتابات أن رجلاً اسمه (حنين بن حنين بن أياس) اتخذ سنة فراره من (نمارة السلطان) ، مبدأ أرخ به ، دلالة على أهمية تلك المناسبة بالنسبة الى حياته،وذكر انه شاد قبراً على مرقد أخته (وبنى هرجم) (وبنى الرجم)، والرجم القبر . والظاهر أن (السلطان) ، اي (سلطان) الروم تعبير عن حكومة كانت قد أقامت مركزاً او حامية او معسكراً (نمارة) ، وكان حنين أحد من كان في ذلك المعسكر ففر منه ، وفرح لنجاته بنفسه . وتعبير (السلطان) من التعابير العربية القديمة التي لا تزال حية حتى اليوم[1] .

ونجد رجلاً آخر اسمه (مغير بن محلم) ، يؤرخ بسنة هرب رجل اسمه (جر) (جور) من (قصر نقات) (قصر نقأت) . والظاهر ان (قصر نقأت) كان ثكنة من ثكنات الروم ، وقد حشد فيها جمع من العرب لأداء الخدمة العسكرية للسلطات الرومانية ، ففر منها (جور) . وفي هذه السنة جاء (مغير) إلى قبور جماعة ذكر أسماءهم قتلوا فوضع رجماً أي حجارة فوق قبورهم تعبيراً عن تكريمه لذكراهم . وقد وردت في النص جملة (طر هسموي) ، أي (طير السماء) . وقد ذهب (ليتمان) E. Littmann إلى احتمال كون (طير) اسم رجل ، و (هسموى) بمعنى (السماوي) ، أي نسبة إلى بادية السماوة ، أو اسم موضع (سمه) (سامه) يقع جنوب شرقي (بصرى)[2] .

ونجد شخصاً اسمه (تيم ايل) يذكر في كتابة له هذه الجملة « ونفر من رم » ، أي (ونفر من الروم) ، و (نفر) بمعنى (فر) في الصفوية[3] . ولم يذكر (تيم ايل) سبب فراره من الروم ، ولعله كان من الكتائب العربية، ففر منها طلباً للحرية والراحة والمعيشة مع الأهل ، أو انه كان قد غزا حدود الروم ، فقبض عليه وسجن ففر من سجنه . ونجد رجلاً آخر يذكر انه (نفر

---

١ Enno Littmann, Safitic Inscriptions, Leyden, 1943, P. 140.
وسيكون رمزه : Safitic

٢ Safitic, P. 167.

٣ راجع الجملة الأخيرة من النص « ٨٧ » المنشور في كتاب : Safitic, P. 19.

من الروم) وذلك في سنة ثلاث . ويقصد بسنة ثلاث ، مرور ثلاث سنوات على تأريخ احتلال الرومان لبلاده ، وقد وقع ذلك في السنة (١٠٥) أو (١٠٦) للميلاد ، أي في عهد تكوين المقاطعة العربية وسقوط (بصرى) في أيدي الرومان على نحو ما ذكرت . فتكون اذن سنة هربه مساوية لسنة (١٠٨) أو (١٠٩) بعد الميلاد[١] .

وقد عبر شخص آخر عن هربه من الروم ورجوعه إلى اهله ناجياً سالماً بعبارة (ونجى من رم) ، اي (ونجا من الروم)[٢] . فيظهر انه كان أيضاً في أيدي الرومان لسبب نجهله فاهتبل الفرص ، وهرب منهم ، ونجا بنفسه ، حيث وصل إلى منزل جده وأقام عنده يرعى ماعزاً له[٣] . واما (سواد بن يسلم)، فقد كان يشعر ان الرومان كانوا يراقبونه ويتعقبون آثاره لسبب لم يذكره ، وقد عبر عن ذلك بقوله « وخرص ال روم » اي (وخرّص الروم) ، بمعنى انه راوغهم وخلص منهم . ولم يذكر سبب مراقبة الرومان له فلعله كان قد اغار على ارض الروم ، اي الأرضين المحتلة الخاضعة لهم ليغنم منها شيئاً فتعقبه حرسهم ، ولكنه راوغهم (وخرص) منهم ونجا[٤] .

وقد ازعجت القبائل الرومان بغاراتها على الأرضين التي استولوا عليها واخضعوها لحكمهم ، فأوجد الرومان جيشاً مرتزقاً من اهل البلاد التي تحكموا في امرها ، وضعوه تحت إمرة جماعة من الضباط الرومان، وجعلوا واجبه حماية الحدود والدفاع عنها، واقاموا له ثكنات على طول تلك الحدود ، ورد اسماء بعضها في الكتابات الصفوية وغيرها . ومع ذلك كانت القبائل تهتبل الفرص، فتهاجم الحدود وتتوغل في الأرضين الخاضعة للرومان لتستولي على ما تجده أمامها من مال وحيوان ، ثم تعود مسرعة إلى مضاربها في البادية حيث يصعب على الرومان محاربتها هناك .

كانت الإسكندرية منذ تأسيسها الى الفتح الإسلامي ، المنبع الذي أمدّ رجال السياسة والحرب والعلم بما احتاجوا اليه من علم عن بلاد الشرق وإفريقية . فيها تجمع التجار أصحاب المال يبحثون عن البضاعة وعن منشئها وأسعارها في المنشأ

---

١ E. Littmann, Safitic, P. 21.
٢ النص رقم « ١٢٨ » من المرجع المذكور .
٣ المصدر نفسه (ص ٣٤) .
٤ راجع النص رقم « ٧٠٩ » من هذا المصدر .

وفي كيفية الحصول عليها بأسهل السبل وبأرخص الأسعار ، منهم من ذهب بنفسه الى مواطن البضاعة وإلى الأسواق الرئيسية المجهزة ، فتموّن منها ما احتاج اليه، ومنهم من تسقط أخبارها من تجار الإسكندرية او التجار الوطنيين الوافدين على الإسكندرية ، أو من رجال السفن . وفي الإسكندرية كانت في الغالب نهاية مطاف ربابنة السفن الذين خبروا البحر وعركوه ، ووقفوا على أحوال البلاد الغريبة العجيبة : علم إفريقية وآسية ، ومن أفواههم تلقف التجار والعلماء أخبار البحار وما وراءها من أرضين ، وفي مكتبتها ودوائرها الرسمية حفظت تقارير قادة الأساطيل والجواسيس الذين كانوا يتجسسون الأخبار عن أحوال حكومات وشعوب تلك البلاد . وهي تقارير لا بد أن تكون على غاية من الخطورة والأهمية عند خلفاء الإسكندر ثم الرومان فالبيزنطيين ، ويحدثنا (أغاثر شيدس) (أغاثر خيدس) الذي عاش في الإسكندرية في حوالي (١١٠ ق. م.) أنه اخذ علمه بأحوال البحر الأحمر من أفواه أناس قاموا هم انفسهم بأسفار الى البحر الأحمر وإلى ما وراءه ، كما أخذه من وثائق ملكية وسجلات كانت محفوظة ، سمح له بالوقوف عليها ، وفي جملتها تقرير (أرسطون) (أرستون) ، وهو احد رجال البحر الذين كلفهم (بطلميوس الثاني) او (بطلميوس) آخر كشف البحر الأحمر ، فلما أنجز عمله وخبر أمر الساحل العربي للبحر ، قدم تقريره المذكور . فحفظ في جملة الوثائق الخطيرة المهمة في خزانة وثائق الإسكندرية ومن هذا المنبع أخذ بقية الكتّاب . ومنهم من قام نفسه بركوب البحر وبأسفار في الشرق ، ثم عاد اليها ليضع ما حصل عليه في كتاب .

والخلاصة أن هذه التطورات والأحداث السياسية والعسكرية التي وجهت أنظار الغرب منذ أيام (الإسكندر الأكبر) نحو الشرق ، قد أدت إلى نزول اليونان والرومان بأنفسهم الى البحار الدافئة لمنافسة العرب في تجارتهم ، في بحارهم وفي البحار الأخرى ، فبنوا سفناً أقوى وأكبر وأوسع ، وأخذوا يقومون أنفسهم بالتدريج، ويحتلون الموانىء المهمة أو يقيمون لهم قواعد قوية عسكرية على السواحل لحماية خطوط مواصلاتهم البحرية ، وبذلك أصابوا التجارة العربية إصابة مباشرة وأنزلوا بها ضرراً بالغاً ، إذ أخذوا يشترون منتجات البلاد الحارة من مواضع انتاجها ، وصاروا يزاحمون السفن البيعرة التي لم تتمكن من تطوير نفسها تطويراً يناسب الزمن وروح العصر ، فتغلبت سفن الروم والرومان عليها كما تغلب

البرتغاليون فيما بعد ثم مَنْ جاء بعدهم من الغربيين على السفن العربية في عصور الاستكشاف ، واضطر التجار العرب الى اعتزال البحر والانسحاب منه تدريجياً والاكتفاء بشحن ما يحصلون عليه بطرق البر ، إلى أسواق تفرض ضرائب مرتفعة على التجار والتجارات . وقد أدى هذا التطور إلى اضعاف مركز العرب الجنوبيين اضعافاً كبيراً ، وإلى إلحاق الأذى بثرائهم ، وصار الروم والرومان يتدخلون في شؤون العربية الجنوبية تدخـــلاً مباشراً أو غير مباشر بتحريض الجيش والقبائل العربية على حكومات العربية الجنوبية على نحو ما سنراه مفصلاً فيما بعد .